الكوارث الطبيعية و الظواهر الفلكية والأوبئة في العراق وأثرها على الحياة العامة في العصر العباسي حتى سنة 656هـ/1258م

تأليف

أ. م.د. عادل إسماعيل خليل م. د. دنيا عبد علي الشمري

قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة البصرة

المقدمـــــة:

الحمد لله الواحد المتعالي ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأوائل والتوالي ، وعلى آله الطيبين الطاهرين أولي المعالي ، وأصحابه الذين طرزوا الدنيا بحسن الفِعالِ .

شهد العراق في حقبة طويلة من تاريخه سنين سوداء ذاق فيها من الويلات والمصائب والمحن والخراب والدمار التي أثرت في بيئته الجغرافية وتركيبته الاجتماعية وثرواته الاقتصادية تراوحت ما بين أوبئة ، وزلازل ، وفتن ،وحروب ،وأعاصير وفيضانات ، مما درج تحت اسم الكوارث الطبيعية.

وقد سلّطت معظم الدراسات والأبحاث التاريخية التي تناولت تاريخ العراق في العصرين الأموي والعباسي اهتمامها على الأحداث السياسية والعسكرية ، وما نتج عنها من آثار جانبية في جميع نواحي الحياة بسبب ما تعرض له ذلك البلد من كثرة الحروب والفتن ، والثورات والانقسامات ، التي أنحلت قواه وضيعت ثرواته . في حين أغفلت الحديث عن الكوارث الطبيعية وما ترتب عليها من آثار مدمرة على الإنسان والحيوان والبيئة المحيطة به.

ولا تقل أهمية تأثير الكوارث الطبيعية على البيئة العراقية عن الدمار الذي تسبب وأنتشر في هذه الفترة بين (41-656هـ /662- 1258م) نتيجة الحروب والصراعات السياسية لاسيما في الفترات المتأخرة منه بفعل البشر، بل قد تكون أكثر بشاعة وتأثيراً على جوانب الحياة الأخرى ، فمن الطبيعي أن تكون هذه الدراسة ضرورة ملحة تلقي الضوء على أهوال الحياة وصعوبتها في تلك الفترة حتى تتكشف الصورة عن طبيعة هذا العصر للدارس.

فقد تعرض العراق في العصرين الأموي والعباسي لحدوث العديد من الكوارث الطبيعية كانتشار الأوبئة والطواعين والفيضانات وتساقط الأمطار الغزيرة وسقوط الثلوج والبرد والصقيع والرياح الشديدة والصواعق ، والقحط والجفاف وهجمات أسراب الجراد وظهور قطعان الفئران والظواهر الفلكية المؤثرة في البيئة وما ينجم عنها من تقلبات الجو وتغيرات طبوغرافية وفلكية ولعل هذه الكوارث كانت سبباً في عدم استقرار الحياة وانتظامها في ذلك العصر. فضلاً عن ما آلت إليه سياسة المحتل من فساد وخراب في البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لسكانه ، فقد تعرض العراق إلى الغزو الأجنبي مرات عديدة وخضع تحت ربق الاستعباد سنين طويلة ولا أدل صورة يمكن أن توضح ما وصل العراق إليه نتيجة تلك الكوارث ما صرّح به المقدسي فقال:" أليس به البصرة التي قوبلت بالدنيا، وبغداد الممدوحة في الورى ، والكوفة الجليلة وسامرّا، ونهره من الجنّة بلا مرا، وتمور البصرة فلا تنسى، ومفاخره

كثيرة لا تحصى، وبحر الصين يمسّ طرفه الأقصى، والبادية إلى جانبه كما ترى ، والفرات بقربة من حيث جرى، غير أنه بيت الفتن والغلا، وهو في كلّ يوم إلى ورا، ومن الجور والضرائب في جهد بلا، مع ثمار قليله، وفواحش كثيرة ومؤن ثقيلة، وهذا شكله ومثاله والله أعلم وأحكم ". [1]

وجاءت الدراسة لتوضيح ما تعرض له العراق آنذاك من كوارث طبيعية مدمرة أثرت بدورها على محيط بيئته وتركيبة سكانه ، إلاّ أنهم لم يفقدوا الأمل بالحياة فاستمروا بالعطاء والإبداع والبناء ، وأثْروا البشرية بالمعطيات الفكرية والثقافية ، وأغنوا الحضارة الإنسانية بالابتكار والأصالة والتجديد.

ومن خلال ذلك سنتطرق في هذا البحث إلى ذكر تاريخ حدوث كل كارثة والمكان الذي حدثت فيه مرتبة ترتيباً زمنياً مما دفع لسردها وذكرها لتعريف القارئ إلى أنواع هذه الكوارث من ناحية ، وإعطاء وحدة متكاملة لموضوع البحث من ناحية أخرى .

---

[1] – للمزيد ينظر أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،113/1.